

الأمثل في تفسير كتاب الإن المنزل

[472] المشيئة الإلهية تُسائر حكمته تعالى، فعندما نسمع قول القائل: "إن" الإن إذا أراد بعبد خيراً... " يكون المراد العبد المستعد لهذه الموهبة. ومن المعلوم أن مقام الرسالة موهبة إلهية، ونحن نرى أن الأنبياء بالإضافة إلى الرسالة الإلهية لهم استعداد وأهلية لتحملها. ثم يجب على السؤال الثالث دون أن يجب على الثاني، وكأن الإعتراض الثاني الذي هو الإستئذان بسنة الأجداد ليس له أي أهمية وفارغ من المحتوى بحيث أن أي إنسان عاقل - بأقل تأمل - يفهم جوابه، بالإضافة إلى أن القرآن الكريم قد أجاب عنه في آيات أخر. وجواب السؤال الثالث هو أن عملنا ليس الإتيان بالمعجز، فنحن لا نجلس في مكان ونلبّي لكم المعجز الإقتراحية وكل ما سوّلت لكم أنفسكم، بل (ما كان لنا أن نأتيكم بسلطان إلا بإذن الإن). ومع ذلك فإن كل نبي كان يظهر لقومه المعجز بمقدار كاف بدون أن يطلبها الناس منه، وذلك لكي يثبت الأنبياء أحقيتهم ولتكون المعجز سنداً لصدقهم، مع أن مطالعة دعوتهم وحدها أكبر إعجاز لهم، ولكن المعترضين غالباً لم يصغوا لذلك، وهم يقترحون كل يوم شيئاً جديداً، فإن لم يستجب لهم الرسول، يقيموا الدنيا ويقعدوها. ولكي يردّ الرسل على تهديداتهم المختلفة يقولون: (وعلى الإن فليتوكّل المؤمنون). وبعد ذلك إستدلّ الأنبياء على مسألة التوكّل حيث قالوا: (وما لنا ألا نتوكّل على الإن وقد هدانا سبلنا) فالذي منحنا أفضل المواهب، يعني موهبة الهداية إلى طرق السعادة، سوف يقوم بحمايتنا في مقابل أي هجوم أو مشكلة تعترضنا. ثم أضافوا: إن ملاذنا هو الإن، ملاذ لا يُقهر وهو فوق كل شيء: (ولنصبرن على ما آذيتمونا) وأخيراً أنهوا كلامهم بهذه الجملة: (وعلى الإن فليتوكّل المتوكّلون). * * *